

سعر النسخة ٥٠ فلساً
دار الحرية للطباعة - توزيع الدار الوطنية

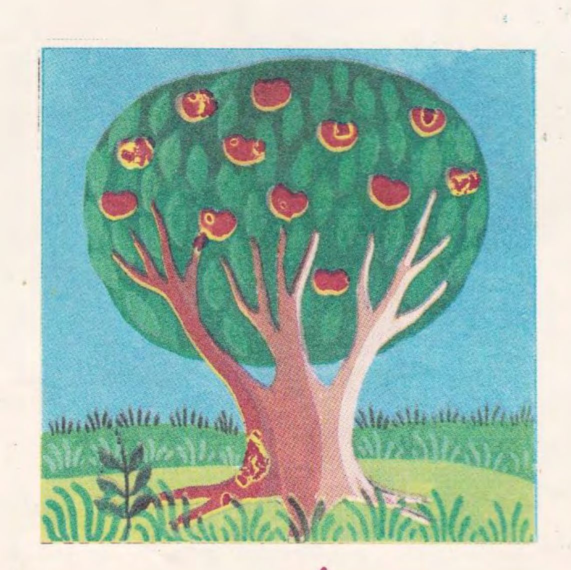
- مكتبة الطفل -
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة القصصية



الشجَرة المثمِرَة

قصة : زهير ابراهيم رسام
رسوم : عبد الشافي السيد
تصميم : خليل الواسطي





كانَ الجوُّ ربيعاً . . والازهارُ منتشرةً هنا وهناك تبعثُ رائحةً عذبةً ،
والبراعمُ الصغيرةُ تنمو بسرعةٍ كأَنها تُعانِقُ الشمسَ ، بينما كانت شجرةُ التفاحِ
منتصبةً عند الساقيةِ مليئةً بالثمارِ .

اقتربَ الفلاحُ من شجرةِ التفاحِ ولامَسَها برِفْقٍ وقال :
– في مثلِ هذا الوقتِ من كلِّ عامٍ تأتينَ بالثمارِ أيتها الشجرةُ الطيبة .
وأخذَ يُنظّفُ التربةَ المحيطةَ بها . . ثمّ وضعَ سماداً عند جذرِها وسقاها بالماء .

وفي تلك اللحظاتِ كانت شجرةُ الصفصافِ تنظر وقد ملأ قلبَها الحسدُ وأخذتْ تتحدثُ مع نفسها . . «لستُ شجرةَ تفاحٍ لكي يهتم بي . . إنني مُهْمَلةٌ دائما . . في كلِّ مرةٍ يأتي الفلاحُ ويسقي شجرةَ التفاحِ ويلامسُها برفق . . وأنا مُهمَلَة . . لا أحدَ ينظرُ إليّ ، ولا مَنْ يهتمّ بي . . ينبغي أن أتخلصَ من شجرةِ التفاح هذه . . وأظَلُّ لوحدي في هذه البقعة» .

وهبّتِ الريحُ فأهتزتْ شجرةُ الصَفصافِ ، وأخذتْ تُطلِقُ صفيراً صاخباً ، وهي تنظرُ إلى شجرةِ التفاح . ثم أخذتْ تنظرُ إلى نفسها «كم أنا كبيرةٌ وأغصاني وارفةٌ ولكنْ لا أحَدَ ينظِرُ إليّ . . كلُّهم ينظرونَ إلى هذهِ الشجرةِ الصغيرةِ» . . واهتزتْ بعنفٍ وصاحت :

– آه أيتها الشجرةُ . . لقد جلبتِ لي التعاسةَ . . سأُحَطِّمُكِ لتكوني طعاماً للنار !

وأخذتِ الايامُ تمرُّ سريعةً ، والغيرةُ تنهشُ قلبَ شجرةِ الصفصافِ . . إنها تُفكِّرُ . . «كيفَ سأتخلصُ من شجرةِ التفاح ؟ وأظَلُّ وحدي هنا . . ألْقَى الرِّعايةَ والاهتمام . .»



وذاتَ يومٍ ألتفتتْ شجرةُ الصفصافِ إلى جانبِ الساقية ، فرأتْ فأساً بلا مقبضٍ ملقاةً في الطين فهزّتْ أغصانَها وأبتسمتْ «هذا ما كنتُ أبحثُ عنه» .

ثم رفعتِ الفأسَ وغسلَتْها بالماءِ ثم قالت بمكْر :

– لماذا أنتِ هنا أيتها الفأسُ اللطيفة ؟

فأجابتِ الفأسُ بحزْن :



– لقد كُسِرَ مِقْبَضي . . وأصبحتُ عاجزةً عن الحِراك .

فقالت شجرةُ الصفصاف :

– لا تحزني أيتها الفأسُ . . خذي.

وناوَلتْها غُصناً من أغصانِها القويّة .

فَرِحَتِ الفأسُ كثيراً . . ثم أخذتْ تسيرُ . . لكنَّ شجرةَ الصفصافِ قالت :

– اسمعي أيتها الفأس . . لي طلبٌ بسيطٌ منك !

والتفتتِ الفأسُ :

– ما هو؟

قالت شجرةُ الصفصاف :

– انظري إلى شجرة التفاح تلك . . إنها تضايقني كثيرا كلّما تمايَلَتْ ثم إنها تحجبُ عني الشمس . . فأرجوكِ أن تقطعي جَذْعَها . . لكي أنامَ مطمئنةً !

فأجابتِ الفأسُ :

– حسناً . . أيتها الصفصافةُ . ما هذا إلا طلبٌ بسيط . .



وفي اليومِ التالي أخذتِ الفأسُ تتهادى نحوَ البستانِ . . وفي طريقها وجدتِ الفلاحَ جالساً عند جذعِ شجرة :

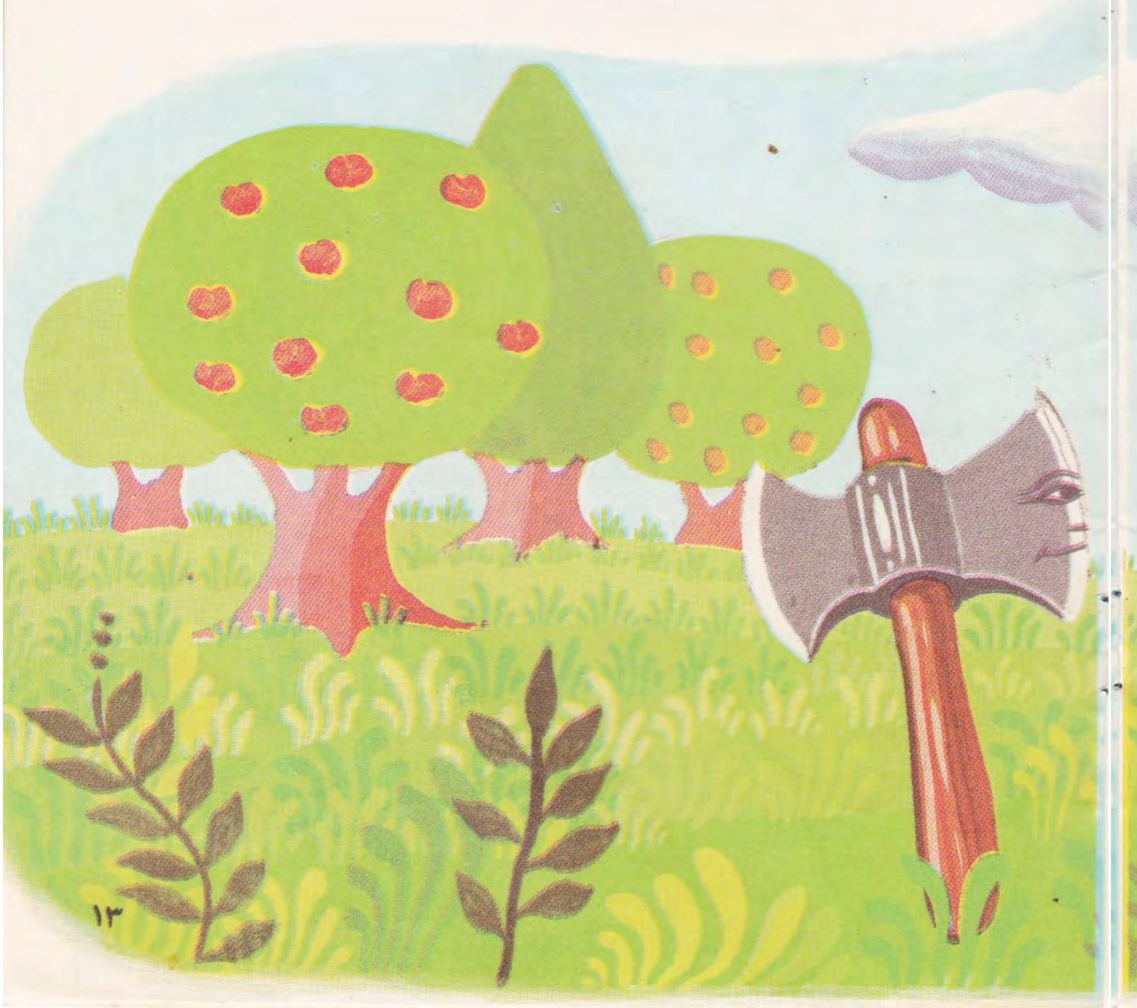
– إلى أين تذهبين أيتها الفأسُ ؟

فأجابتِ الفأسُ :

– لكي أَقطعَ بعضَ الأغصانِ لسيدتي . كي تصنعَ لكم خبزاً .

فقال الفلاحُ :

– إياكِ أن تقطعي غُصناً من شَجَرةٍ مُثْمِرة :



– «حسناً» . . قالت الفأسُ وأخذتْ تسيرُ حتى وصلت إلى شجرةِ التفاح ، وما أن تحركت قليلاً حتى صاحت الشجرة :

– إحذري أيتها الفأسُ . . فأنا شجرةٌ مثمرة . . وهذه هي ثماري .

ابتسمتِ الفأسُ ومضتْ في طريقها . . عندئذٍ صاحت شجرةُ الصفصافِ بعنف :

– اقطعيها . . اقطعيها .

ولكنَّ الفأسَ سارت وهي تقول :

– ليس الامرُ بيدي يا صديقتي . . لقد أمرني الفلاحُ بألاّ أقطعَ شجرةً مثمرة .



وتقدمتْ من شجرةِ تينٍ . . وأرادت أن تضربَها لكنَّ شجرةَ التين صاحت :

– إياكِ أيتها الفأسُ . . فأنا شجرةٌ مثمرةٌ . . أنظري إلى ثماري . .

فاعتذرتِ الفأسُ وسارت في طريقها . .

ودارتْ طويلاً في أنحاء البستانِ ، فوجدت جميعَ الأشجار مثمرةً . . وقالت مع نفسِها :

– ما العملُ ؟ إنَّ البيتَ بحاجة إلى الحطب .

وأخذتْ تدورُ طويلاً في البستان . . وقد هدّها التعبُ ، وهي تقول «ما العمل ؟ . . إنَّ جميعَ الأشجارِ مُثمرةٌ» .

وبينما هي تفكّرُ هكذا . . وتتحدث مع نفسها بصوتٍ مسموعٍ ، وإذا بها واقفةٌ أمامَ شجرةِ الصفصاف ! ! ! . . أخذتْ تنظرُ بحيرةٍ إلى أغصانها . . باحثةً عن ثمرةٍ فيها . .





وما أن رأتها شجرةُ الصفصافِ وهي بحالتها هذه حتى قالت :

– ماذا جرى أيتها الفأس . . . أراكِ حائرةً . . تنظرين إلى أغصاني ؟

فأجابتِ الفأسُ :

– سوف أقطعُ أغصانَكِ أيتها الشجرة .

فصاحت شجرةُ الصفصاف :

– كيف ؟ ! . . أنسيتِ ان مقبضَكِ من أغصاني ؟

قالت الفأس :

– لم أنسَ ذلك . . ولكنَّ البيتَ بحاجةٍ إلى الحطب . . وقد أمرني الفلاحُ بعدم قَطْعِ غصنِ شجرةٍ مثمرةٍ ! والأمرُ بعد كلِّ هذا ليسَ بيدي !

وأخذتْ شجرةُ الصفصافِ تتوسلُ بالفأسِ وهي تبكي . . علّها تبتعدُ عنها . . دونَ جدوى ، فقد أخذتِ الفأسُ تضربُ أغصانَها الطويلة وتكوّمها جانباً . . لتصبحَ تلاً كبيراً من الأغصان .